

النقيض الكوني للغرب الرأسمالي، أوقف الحرب الايديولوجية الكونية، واتجه الى التعاون مع الغرب الرأسمالي، بل ان ميخائيل غورباتشيف أقرّ بحبوية مصالح الغرب في منطقة الشرق الاوسط^(٤٣)؛ كما ان الطرف الرفض والنقيض للمشروع الصهيوني (الفلسطينيين) أعلن، في مشروعه للسلام، قبوله بوجود دولة اسرائيل، واستعداده للتوصل الى تسوية على أساس «دولتين لكلا الشعبين على أرض فلسطين»؛ وبالتالي اقامة سلام دائم وتوفير الاستقرار للمنطقة.

فما الذي يمنع من الوصول الى مثل هذه التسوية؟

بالنسبة الى الدول الصغيرة، في عالمنا اليوم، هناك نوعان من التسوية:

(أ) التسوية القائمة على رغبة الاطراف المباشرة في الصراع، وهي ما تعني اقتناع تلك الاطراف بحاجتها الى السلام وانعدام جدوى استمرار العنف؛ وفي حالة الصراع الصهيوني - الفلسطيني ما زالت اسرائيل بعيدة من مثل هذا التوجّه طالما بقيت أداة لمشروع أيديولوجي قيد التحقيق.

(ب) التسوية القائمة على حاجة المجتمع الدولي، وهي «تسوية مفروضة» على الاطراف المباشرة؛ ولم تستطع، في التاريخ الحديث، أي دولة صغيرة رفض تسويات الكبار. وفي موضوعنا، كما يبدو حتى الآن، ان التسويات المفروضة هي الاكثر قبولاً لدى طرفي صراع كالصراع الصهيوني - الفلسطيني الذي تتداخل فيه حدود السياسة بالايديولوجيا والميثولوجيا، وتحوّل فيه الحرب الى «جهاد مقدّس» لدى الطرفين المتصارعين. والتسويات المفروضة تُعفي قيادات أطراف مثل هذا الصراع من تقديم تفسيرات لأتباعها، بل تساعد في عرض وجه انساني لها - مصلحة بقاء الكون.

على ذلك، فان تسوية القضية الفلسطينية، التي لم يجد العالم بُدّاً من الاقرار بتقسيم فلسطين في العام ١٩٤٧ لحل مشكلة الصراع عليها بين اليهود والفلسطينيين، لا بدّ له، مرة أخرى، من التدخل في هذه القضية بفعالية لـ «اكراه» الاطراف المباشرة على تنفيذ القرار ذي الرقم ١٨١ والقاضي باقامة دولتين، فلسطينية ويهودية، وذلك منعاً من ابقاء هذه المنطقة كبرميل بارود قد يُفجّر العالم. ولعلّ في الاحداث التي وقعت بين العراق والكويت، في أوائل آب (اغسطس) ١٩٩٠، ما قد يشكل تحذيراً للعالم، ولن يراهنون على دور اسرائيل في استراتيجيتهم كـ «شرطي» في منطقة الشرق الاوسط، وتحديداً الولايات المتحدة الاميركية التي لا تزال ترى ان حماية آبار النفط وطرق امداده للغرب ممكن باستخدام قوة خارجية (قوات الانتشار السريع الاميركية، أو اسرائيل).

وقد أقدمت منظمة التحرير الفلسطينية، بشجاعة، مستندة الى الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، بمبادرتها للسلام، وقبولها بوجود دولتين على أرض فلسطين، احدهما فلسطينية، مع كل ما تعنيه هذه المبادرة من «التنازل» عن حق تاريخي في كامل جغرافيا فلسطين. وعلى العالم الرأسمالي، تحديداً، الذي رعى قيام اسرائيل، وما زال يرمى استمرارها انطلاقاً من فهمه لمصالحه في المنطقة، وانطلاقاً من تلك المصالح، لا من الاخلاق، ان يُلزم، وهو قادر، امتداده العضوي في الشرق الاوسط بالتحرك والعمل لما فيه مصلحة العالم ككل. فكما أجبرت الدول الغربية نظام جنوب افريقيا، توأم اسرائيل، على التفاوض مع السود، سكان البلاد الاصليين، تستطيع ان تُلزم «دوكليك» اسرائيل على التفاوض مع «مانديلا» فلسطين. والولايات